مرضياً، يدعو إلى بعض التفاؤل. فقد كتبت الصحف الوطنية المقالات الطوال حولها، وتناولها الكتاب بالبحث المستفيض، ورددت اللجنة التنفيذية في بيانها الأخير هدف الأمة السامي، وهو الاستقلال والوحدة، وكذلك كان شأن لجنة السيدات في بيانها الأخير...». وأكدت أن هذا النشاط جيد، ولكن الأجود منه أن تتغلغل الفكرة الاستقلالية، فتصبح عقيدة تُبذل من أجلها التضحيات. وقد أوضحت **الحياة** مفهومها للاستقلال الوطني، فنشرت مقالاً مطولاً تحت عنوان مبادىء[٩] جاء فيه: «هل يكفي أن يقول الواحد منا أنا استقلالي، أدعو إلى الوحدة العربية، حتى يكون من أصحاب المبادىء القومية؟ كلا، لو صح أنه يكفي، لما جاز لأحد منا أن يتهم أي فرد في الأمة في مبدئه... لأني لا أظن واحداً فيها يجرؤ على الدعوة إلى غير الاستقلال، والرغبة في غير الوحدة، وبصريح العبارة وصادق القول، فإن التظاهر باعتناق الفكرة الاستقلالية شيء والعمل بما تتطلبه هذه الفكرة شيء آخر...»[١٠]. ولتحديد المعنى الفعلي للاستقلالي قالت: «الاستقلالي هو الذي يقارع الكون في سبيل استقلاله، ولو كان واحداً منفرداً، لأن المبادىء لا تخدم بكثرة من ينتحلها، وإنما تخدم بإخلاص من يعتنقها، وبتضحيته في سبيلها» و«نريد أن تبدو استقلاليتنا جلية واضحة، في كل مظهر، في احتجاجاتنا، في أعمالنا، في حفلاتنا، في أخلاقنا، في ألبستنا، في صحفنا، حتى في علاقاتنا الشخصية المحضة».

إن هذا التحديد الدقيق من شأنه أن يثير التساؤلات. فكيف يمكن للمرء أن يكون استقلالياً حتى في علاقاته الشخصية. وهذا ما استوضحه مواطن في رسالة أرسلها إلى مكتب الجريدة. وقد أجابه الكاتب عما يقصده قائلاً: «تبدو استقلاليتنا في احتجاجاتنا إذا كانت هذه الاحتجاجات خالية من الاستجداء والتسول، مستندة إلى حق صريح لا لبس فيه أو إبهام». وتابع قائلاً: «جاء في احتجاج إحدى الهيئات على إبعاد أحد المخلصين قولها: فرحمة بعائلته، ورأفة بأطفاله، نسترحم إصدار عفوكم السامي عنه، والرحمة فوق العدل. فهيئة تكتب مثل هذا الالتماس، وتعترف بأن العفو عن المحكوم هو رحمة، لأن هذه الرحمة فوق العدل، الذي تمثل بالحكم عليه، هل يقال إنها تستوحي المبادىء الاستقلالية في تصرفاتها». و«الخلاصة ان كل مظهر ينافي العزة القومية لا يمكن أن يكون استقلالياً»[١١].

وتابعت **الحياة** عرض مفهومها للاستقلال الوطني، موضحة أن الاستقلال يتطلب الاباء القومي وعزة النفس والكرامة: «يجب أن تبدو استقلاليتنا في ألبستنا، فمن اشترى لباساً أجنبياً، وفي بلده ما هو مثله من المصنوعات العربية، كان عدواً للمبدأ الاستقلالي، ويجب أن تبدو استقلاليتنا في علاقتنا الشخصية، فلا نحترم من كان على غير مبدئنا الاستقلالي، ولا نؤيد شخصاً تتباهر منه رائحة الانتداب، ولا نقبّل يداً صفعتنا»[١٢].

واستنكرت **الحياة** الانسياق وراء الأفراد دون المبادىء، وقد أفردت لذلك مقالاً افتتاحياً بعنوان: «الوطن فوق الأشخاص»[١٣] قالت فيه: «الوطن فوق الأشخاص، هذه حقيقة ما أحوجنا، في هذه الأمة، إلى معرفتها وقبولها والعمل بها. لأننا كثيراً ما سرنا، في قضيتنا، سيراً شخصياً متصلاً بالأفراد دون المبادىء، وبالأشخاص دون البرامج، فما